

العنوان:	دلالة بناء الجملة القرآنية : دراسة تطبيقية في آيات الجنة والنار
المؤلف الرئيسي:	البدراني، عائشة خضر أحمد
مؤلفين آخرين:	الطوبجي، طلال يحيى إبراهيم(مشرفا)
التاريخ الميلادي:	2006
موقع:	الموصل
الصفحات:	1 - 193
رقم MD:	557803
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة الموصل
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	العراق
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم، الدلالات اللغوية ، الجمل في القرآن الكريم، الجنة والنار
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/557803

دلالة بناء الجملة القرآنية

- دراسة تطبيقية في آيات الجنة والنار -

أطروحة تقدمت بها

عائشة خضر احمد البدراني

إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة الموصل

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه

في فلسفة اللغة العربية

بإشراف

الاستاذ المساعد الدكتور

طلال يحيى إبراهيم الطوبجي

إقرار المشرف

أشهد أن هذه الأطروحة الموسومة بـ(دلالة بناء الجملة القرآنية دراسة تطبيقية في آيات الجنة والنار) جرت تحت إشرافي في جامعة الموصل وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية.

التوقيع:

المشرف: د. طلال يحيى إبراهيم الطوبجي

المرتبة العلمية :

التاريخ : / / ٢٠٠٦

إقرار رئيس لجنة الدراسات العليا

بناء على التوصية التي تقدم بها المشرف ارشح هذه الأطروحة للمناقشة.

التوقيع :

رئيس اللجنة: أ.د. عبد الوهاب محمد علي العدوامي

التاريخ : / / ٢٠٠٦

إقرار رئيس قسم اللغة العربية

بناءً على التوصيتين اللتين تقدم بهما المشرف ورئيس لجنة الدراسات العليا ارشح هذه الأطروحة للمناقشة.

التوقيع :

رئيس القسم: د. عبد الله فتحي الظاهر

التاريخ : / / ٢٠٠٦

﴿إقرار لجنة المناقشة﴾

نشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة قد اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ "ألفاظ العصيان في القرآن الكريم -دراسة دلالية-" وناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ / / ٢٠٠٤م ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية.

الاستاذ

الاستاذ المساعد

رئيس لجنة المناقشة

عضواً

الاستاذ المساعد

الاستاذ المساعد

عضواً

عضواً ومشرفاً

﴿قرار مجلس الكلية﴾

اجتمع مجلس كلية الاداب بجلسته المنعقد بتاريخ / / ٢٠٠٤م وقرر منحها شهادة الماجستير في اللغة العربية .

مقرر مجلس الكلية

رئيس مجلس الكلية

معاون عميد الكلية للشؤون الادارية والطلبة

عميد كلية الاداب

الدكتور زهير علي احمد النحاس

الدكتور محمد باسل قاسم الغزاوي

جامعة الموصل

كلية الاداب

الدراسات العليا

استمارة تصحيح الرسالة على ضوء توصيات اللجنة المناقشة

نؤيد بان الطالبة:.....

قد اجرت التصحيحات المطلوبة التي اقترحتها لجنة المناقشة على رسالتها

توقيع

عضو لجنة المناقشة

ا.م.د. عماد عبد يحيى الحيالي

توقيع

رئيس لجنة المناقشة

أ.د. عبد الوهاب محمد علي العدوانى

توقيع

عضو لجنة المناقشة (المشرف)

أ.م.د. رافع عبد الله مالى العبيدي

توقيع

عضو لجنة المناقشة

أ.م.د. محمد صابر مصطفى

أ.د عبد الوهاب محمد علي العدواني
رئيس لجنة المناقشة

أ.م.د عماد عبد يحيى الحيالي
عضواً

أ.م.د محمد صابر مصطفى
عضواً

أ.م.د رافع عبد الله مالمو
العبيدي
عضواً ومشرفاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَجْ
أَشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

سورة النمل

الآية : ١٩

ثبت المحتويات

الصفحة	الموضوع
٤-١	المقدمة
٢٠-٥	التمهيد: مقاربات تعريفية بمرتكزات البحث
٦	أولاً: مقومات الصحة الدلالية
١٢	ثانياً: من دلالة اللفظة إلى دلالة الجملة
١٣	ثالثاً: العلاقة بين النحو والدلالة
١٥	رابعاً: الجملة عند النحاة العرب
١٩	خامساً: الإعراب والدلالة
الفصل الأول	
٧٠-٢١	الجملة الاسمية
٤٣-٢٤	أولاً: الجملة غير المؤكدة
٢٥	أ. الجملة الممتدة بالاسم الموصول
٣٢	ب. الجملة الممتدة بجملة الصفة
٣٧	ج. الجملة المركبة
٧٠-٤٤	ثانياً: الجملة الاسمية المؤكدة
٤٦	أ. الجملة المؤكدة بـ(إن)
٥٦	ب. الجملة المؤكدة بـ(إن واللام)

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني	
الجملة الفعلية	١٣٦-٧١
أولاً: جملة الفعل الماضي	١١١-٧٦
الجملة الماضية المبنية للمجهول	٨٥
الجملة الماضية المصدرة بالاستفهام	٩٥
جملة كان الناقصة	١٠٠
ثانياً: جملة الفعل المضارع	١١٨-١١٢
ثالثاً: جملة الفعل الأمر	١٣٦-١١٩
الفصل الثالث	
الجملة الشرطية	١٦٦-١٣٧
أولاً: الجملة المصدرة بـ(من)	١٥٠-١٤١
ثانياً: الجملة المصدرة بـ(لو)	١٦١-١٥١
ثالثاً: الجملة المصدرة بـ(إذا)	١٦٦-١٦٢
الخاتمة	١٧١-١٦٧
المصادر والمراجع	١٨٩-١٧٢
الملخص باللغة الانكليزية	A

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. . .

تتطلق ديمومة اللغة وحيويتها من سمتها التواصلية، التي تستمد قوامها من فعل التخابط الإنساني، فاللغة خاصية الإنسان، منطلقها في ذلك أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم - كما يقول ابن جني -، ومن اللفظ الأخير تكتسب اللغة أسباب وجودها ونجاحها. وارتباط اللغة بالمقاصد والأغراض ينحو بالدراسات اللغوية إلى إيلاء دراسة الجملة أهمية كبرى، وتوسيع دائرة البحث في دلالاتها، لتكون بذلك نقطة انطلاق - بوصفها بنية صغيرة على مستوى الخطاب - إلى عوالم أرحب تتمثل بعالم الخطاب، الذي يتشكل من هذه البنية وما يجاورها، إذ إن استتطاق دلالاتها لا يتحقق بمعزل عن بيئتها اللغوية هذه، التي لا تنعزل بدورها عن الظروف المحيطة بها.

من هنا تتجلى أهمية دراسة دلالة بناء الجملة، من حيث إنها خروج من البحث في الدلالات الجزئية إلى الدلالات الكلية، التي يولدها نسيج لغوي تؤلفه عناصر نحوية ودلالية، تنتظم في صور أو أشكال لغوية تخضع لقوانين تلك اللغة.

وتناول هذا الموضوع في القرآن الكريم يمنحه قوة وثباتا تستند إلى نسقه المعجز بوصفه كلام الله ﷻ الذي شكلته صياغات تركيبية سمتها الانسجام والتكامل بين عرض القضية والقيمة الجمالية، هذا التكامل الذي يفرغ في أغراض القرآن ومقاصده التعبيرية، التي تحيل إلى وحدانية الله ﷻ، وتدفع عن الحياة عبثيتها بوجود البعث والثواب والعقاب.

ويشغل موضوع الثواب والعقاب جانبا مهما في القرآن الكريم بوصفه قاعدة إسلامية تستند أصولها إلى ماهية العمل الدنيوي صلاحا وفسادا، وتخلع على الحياة صفة كونها دار امتحان مآلها إما جنة أو نار، والقصد - والله اعلم - هو بث روح الاستقامة والرجوع إلى الفطرة التي فطر الله ﷻ عليها عباده.

ولقد حرص البحث منذ بدايته الأولى على أن يكون مجال الدراسة نصوصاً، وليس جملاً متفرقة ليتسنى من خلال ذلك الوقوف على جانب من دلالاتها ومقاصدها، وقد هدانا استقراء مواضع آيات الجنة والنار إلى منهج يعتمد في توزيعه للنماذج القرآنية على ما تفتتح به هذه الآيات (المشاهد) من جمل، أي اعتبار الجملة الأولى في التقسيم، بوصفها اللبنة الأولى في بناء النص، فضلاً عن أن البحث وجد أن صياغة الجملة الأولى، ومن ثم دلالاتها لا تقتصر على الجملة نفسها وإنما تلقي تأثيراتها وظلالها على ما يليها من كلام من خلال علاقات متنوعة معنوية أو لفظية أو دلالية.

وقد وجد البحث أن آيات الجنة والنار في مجمل فواتحها لا تخرج عن ثلاثة أنواع من الجمل هي: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والجملة الشرطية، فافتضى ذلك تقسيم فصول الأطروحة تبعاً لذلك، وقد سبقها تمهيد حاولنا فيه التعريف بأهم مركبات البحث التي تنتشعب بين عناصر دلالية ونحوية على صلة مباشرة بموضوع الدراسة.

ثم تناول الفصل الأول الجملة الاسمية بنوعيتها المؤكدة وغير المؤكدة وقد اعتمد البحث في تقسيم الأخيرة على الوظائف النحوية المنوطة بها. أما المؤكدة فقد استندنا في توزيعها على تدرج بُنى التوكيد في هذه الجمل التي تتبع بدورها أحوال المخاطب فينقسم الخبر بمقتضاها إلى ابتدائي وطلبي وإنكاري.

في حين تضمن الفصل الثاني الجملة الفعلية بتفريعاتها التي لا تخرج عن جملة الفعل الماضي، جملة الفعل المضارع، وجملة فعل الأمر.

أما الفصل الثالث فقد اشتمل على الآيات المبدوءة بالجملة الشرطية، وجرى تقسيمها تبعاً لأدوات الشرط المتصدرة لهذه الجمل.

وبعد . . .

فإذا كان من تقاليد كتابة المقدمات الحديث عن الصعوبات، فلا تفرد ولا تميز لنا فيها، مادام الجميع يحياها ويكابدها، ليس على الصعيد العلمي فحسب، وإنما على أصعدة الحياة كافة.

ويطيب لي في هذا المقام أن أزجي خالص شكري وعرفاني إلى أستاذي الفاضل الدكتور طلال يحيى إبراهيم الذي سعى برعاية أبوية حليلة، ودقة علمية سديدة، قومت عثرات البحث حتى استوى على سوقه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وجزيل شكري وخالص احترامي لكل من مد يد العون والمساعدة، ولكل من بدد صعوبة، أو سهل مهمة، ولاسيما منتسبي كلية الإدارة والاقتصاد. والله الحمد في الأولى والآخره، وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباحثة

أولاً: مقومات الصحة الدلالية

كيف تتم عملية التواصل عبر اللغة؟ ما المقومات والشروط التي تعد الجملة على وفقها صحيحة نحويًا ودلاليًا؟، يمكننا الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال متابعة الإجراءات أو الخطوات التي تتم على وفقها عملية التواصل، وليكن ذلك عبر استحضار متكلم ومخاطب وحوار يجمعهما، ولنبدأ بالمتكلم، إذ ثمة فكرة في ذهنه يرمي توصيلها إلى المخاطب، وهنا يبرز مبدأ الكفاية اللغوية، إذ تكون في امتلاك المتكلم - السامع القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل من عدد محدود جدا من الفونيمات الصوتية، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي تقال من وجهة نظر نحوية وتركيبية، ثم القدرة على الربط بين الأصوات المنتجة وتجمعها في مورفيمات متواضع على فهمها تنتظم في جمل، ((فالمتكلم لا ينتج جملا وإنما ينتج خطابا خاضعا لنظام الجمل في أي لغة))^(١). ومن ثم القدرة على ربطها بمعنى لغوي محدد ذي مقاصد، وذلك كله يتم بعمليات ذهنية داخلية، يتم التنسيق بينها بما يسمى ((قواعد إنتاج اللغة))^(٢).

من هنا تبرز قضية مهمة جدا لإنجاح أية عملية تواصل، وهي اتباع المتكلم شروطا معينة يصبح الكلام من خلالها ذا دلالة، لان اقتران الكلام بالدلالة شيء ضروري، بمعنى ان الكلام بدون هذا الاقتران الدلالي يفقد كل مقومات الشرعية والوجود، بل ان الكلام الخالي من الدلالة شيء منعدم قطعاً^(٣). وابرز المقومات التي يشترط وجودها في الكلام هي:

١. المواضعة:

يقول القاضي عبد الجبار (ت ٥٧٥هـ): ((ان الكلام إنما يدل بالمواضعة))^(٤)، ونقصد بالمواضعة تواطؤ أهل اللغة الواحدة والتزامهم بالنسق المتفق عليه في بيئتهم اللغوية، وإلا فقد الرمز قدرته على النقل والإيحاء^(٥).

(١) منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، قاسم البريسم ٢١، وينظر: مستويات الخطاب في القصة القرآنية، أطروحة تقدمت بها فائزة محمد محمود المشهداني الى كلية التربية - جامعة الموصل، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ٢١

(٢) ينظر: في نحو اللغة وتراكيبها، د. خليل احمد عمارة: ٥٧

(٣) ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية، د. عبد السلام المسدي: ١١١

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار: ٣٤٧/١٦

(٥) ينظر: اللسانيات من خلال النصوص، د. عبد السلام المسدي: ٤٦

من هنا نلاحظ أهمية هذا الشرط وخطورته ليس فقط من حيث كونه مهما في عملية الاتصال، وإنما لتحقيقه مبدأ الاقتصاد في اللغة، لأن ((حقيقة المواضعة تكمن في أنها تحرك الكلام بما يقتضي صرف الخطاب إليه راساً، وتقدم المواضعة زمانياً يكتسب الخطاب وحدوية البعد الدلالي، فالمتكلم لا يخاطب أحداً إلا وهو يريد ما وقعت المواضعة عليه حتى لا يكون ملغزاً أو معمياً، فالمواضعة دعامة الانتظام البلاغي في الكيان اللغوي، وبانعدامها يرتفع العقد الجماعي بين أفراد المجموعة اللسانية الواحدة))^(١).

والمواضعة وحدها لا تكفي لتحقيق مبدأ الصحة الدلالية، إذ لابد أن تتبع بشرط آخر لا يقل أهمية عنها هو:

٢. القصد:

ويرتبط هذا الشرط بالمتكلم، وهو - القصد - ((قبل كل شيء يعني القصد إلى الفائدة بعد العلم بسنن المواضعة))^(٢).

وتحف بهذا الشرط شروط فرعية، منها ما له علاقة بالمتكلم، ومنها ما له علاقة بالمتكلم والمخاطب معاً. فالشرط المتعلق بالمتكلم يتمحور حول الإرادة والاعتقاد، إذ إن الإنسان لا ينجز الحدث الكلامي إلا وكل طاقاته النفسية وقدراته الفكرية ومداركه التصويرية مجتمعة متأثرة بغية بلوغ الكلام تمامه ومن ثم مقصده^(٣).

أما الشرط المتعلق بالمتكلم والمخاطب معاً، فينظر إليه من خلال أن القصد شرط أساسي لكل أنواع التواصل^(٤)، ولتحقيق ذلك لا بد من^(٥):

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية: ١٤١

(٢) م.ن: ١٤٥

(٣) ينظر: م.ن: ١٤٩

(٤) ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة، د. حسن سعيد بحيري، مجلة علامات في النقد، ج٣٨، م١٠،

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ١٧٦

(٥) الحجاج المغالطي بين المفهوم والمقصود، حسان الباهي، مجلة المناهل، العدد: ٦٢-٦٣، السنة

٢٥، ٢٠٠١: ١٢٠

أ. أن يتوجه المتكلم إلى المخاطب بكلامه، أي قصد المتكلم إبلاغ الخطاب بطريقة معينة.

ب. أن يتمكن المخاطب من فهم مقصود المتكلم، وانه كان قاصداً إلى ذلك، ولم تصدر عنه سهواً أو غلطاً أو تغليطاً، بحيث يتفق ما تم إبلاغه مع كون هذا الإبلاغ تم بطريقة قصدية. ولإنجاح عملية التخاطب لا بد أن يراعي المتكلم مستوى المخاطب الفكري والاجتماعي والثقافي، متحريراً في الوقت نفسه السلامة اللغوية، عندها يتحقق مستوى الفهم بين المتكلم والمخاطب وهو بدوره ((المستوى الأولى للتوصل إلى الدلالة، وهذا المستوى يتطلب درجة كبيرة من التعلم، من حيث إن الدلالة ليست معطى من معطيات الشيء أو صفة من صفاته، ولكنها تسند إليه بفعل الاصطلاح والمواضعة))^(١).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا مدى ترابط شروط الصحة الدلالية مع بعضها ومدى الترابط بينها. فشرط المواضعة يتساق مع دلالة المفردة الوضعية والنظام العام للغة، وشرط القصد يتساق مع دلالة الجملة ضمن إطار التواصل في اللغة، وبعبارة أخرى فإن العلامات اللغوية في حالة إفرادها لا ترتبط بمدلولها إلا ارتباط مواضعة واصطلاح، والتركيب اللغوي (لا ينبئ) عن مدلوله بمجرد المواضعة بل لابد من اعتبار (قصد) المتكلم أيضاً^(٢).

ولابن القيم نظرات (ت ٧٥١هـ) دقيقة وعميقة على صلة وطيدة بسياق التواصل بين المرسل والمتلقي، فدلالة النصوص عنده ((نوعان: حقيقية وإضافية، فالحقيقية تابعة لقصد المتكلم وإرادته وهذه الدلالة لا تختلف، والإضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه، وجودة فكره وقريحته، وصفاء ذهنه، ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافاً متبايناً بحسب تباين السامعين في ذلك))^(٣).

(١) القارئ والنص - العلامة والدلالة، سيزا قاسم: ١٣

(٢) ينظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، د. نصر حامد أبو زيد: ٨٨

(٣) أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية ١/٣٥٠-٣٥١، وينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، مصطفى تاج الدين، إسلامية المعرفة، السنة الرابعة، العدد الرابع عشر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م:

والى جانب شرطي المواضعة والقصد يبرز السياق والتنغيم بوصفهما عنصرين
كاشفين ومجليين لهذين الشرطين:

١. السياق:

تتنوع مدلولات الدوال وتتعدد في الإطار المعجمي المتواضع عليه، فنجدها تتقارب
تارة حتى تصل إلى حد الترادف أحياناً، ونجدها تتباعد تارة حتى تصل إلى حد التضاد أحياناً
أخرى، ونجدها تتجمع مرة أخرى بمدلولات مختلفة تحت دال واحد، والشواهد على ذلك كثيرة
في اللغة.

وإذا ولجنا إلى اللغة بوصفها وسيلة من وسائل التواصل بين البشر، بمستواها العادي
(أي وسيلة التخاطب اليومي)، أو بمستواها الأدبي الذي تدخل فيه خصائص ومميزات يرتقي
بها الكلام عن الكلام الاعتيادي، نجد أن الدوال وهي توظف في الجانب العملي من اللغة
(جانب الاستعمال) قد يضيق مدلولها أو قد يتسع، وقد تتزاح لتدخل باب المجاز والاستعارة،
ولن نتمكن من التوقف على هذه المدلولات بدقة وعمق ((الا إذا دخلت في تركيب بعلاقة
نحوية مع غيرها))^(١).

من هنا تبرز أهمية السياق بوصفه مقيداً للدلالة وموجهاً لها وجهة مخصوصة، ((تعد
السياقات حصيلة للنصوص التي تكتب أو تقال، ويتم تكوينها وتحويلها وتعديلها دائماً
بالنصوص المستخدمة في موقف دون آخر))^(٢) ومن هذا المنطلق ينقسم السياق إلى:

أ. سياق مقالي:

وهو على صلة بالجانب اللغوي، إذ يخضع المعنى لعملية التركيب سواء على مستوى
الجملة أم على مستوى الخطاب، وبموجب هذا يكون فهم اللاحق مستنداً إلى فهم السابق،
وتكمن فاعلية السياق المقالي في أنه ينظر من خلاله إلى النص في كليته وانسجامه، وليس
بصفته نتوءات مجتزأة لا يشير بعضها إلى بعض^(٣)، وبذلك تتكشف دلالات الألفاظ
وعلاقاتها فيما بينها، ((فالألفاظ في علاقتها التركيبية والسياقية تكتسب دلالاتها. وعلى ذلك

(١) النحو والدلالة، د. محمد حماسه عبد اللطيف ٩٧-٩٨

(٢) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، أطروحة تقدم بها عماد عبد يحيى إلى كلية الآداب -

جامعة الموصل ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م: ٢٠١

(٣) ينظر: النص القرآني ومشكل التأويل، مصطفى تاج الدين، إسلامية المعرفة، العدد الرابع عشر

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م: ٢٧-٢٨

يجب ان يكون المعيار هو النص ذاته^(١). من هنا فان سياق المقال خاص بالفهم اللغوي والدلالي للنص، أي فهم الظاهر منه^(٢).

ب. سياق مقامي (حالي):

لا يقل السياق المقامي أهمية عن السياق المقالي، فهو على صلة مباشرة بالمتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بهما، ويتضح ((أثره في جعل الوحدات الكلامية أكثر غنى، وثراءً ووضوحاً لدى السامع))^(٣).

وأول من نبه إلى أهمية (السياق المقامي أو الحالي) الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، فقد صنف صور الدلالة فجعلها خمسا، وهي: اللفظ، والإشارة، والعقد (الحساب)، والخط، ثم الحال التي سماها نُصْبَةً، ويقصد الجاحظ بالإشارة عمل اليد والرأس والعين والحاجب والمنكب، وغير ذلك مما يصحب الكلام من حركات، ولولا هذه الإشارة في رأيه لما تفهم الناس معنى خاص الخاص. وأما النصبه وهي الحال الناطقة من غير لفظ، والمشيرة بغير يد، فالأشياء هنا تقوم مقام الكلمات في الإبانة عن ذواتها، وهو تعبير دقيق لسياق الحال بكل تفاصيله وأثره في تدقيق الوصف للحدث الكلامي^(٤).

من هنا كان من مقتضيات الفهم وحصول الفائدة والوقوف على مقاصد المتكلم الاهتمام ((بحركات الشخصوس وسلوكها، وما يتبع الكلام أو يصحبه من حركات الجسم وإشاراته وإيماءاته، وعزل الكلام عن هذا الموقف الحي يحيله الى شيء مشوه أو جامد))^(٥). وقد نصت النظرية السياقية عموما والمقامية خصوصا على ان هذه العوامل تتحسم معها الدلالة المقصودة^(٦). إذ تتيح للمتلقى فهما اعمق واستيعابا اكبر للخطاب. وتظهر أهمية السياق المقامي بجلاء عندما تتشابه البنى التركيبية، وتختلف المقاصد، تبعا للظروف المحيطة بالمتكلم

(١) مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد ابو زيد ١٠٦

(٢) ينظر: ضوابط في فهم النص، د. عبد الكريم حامدي ١٤٢

(٣) الخطاب القرآني - دراسة في العلاقة بين النص والسياق، د. خلود العموش ٥٨

(٤) ينظر: البيان والتبيين ١/٥٥-٥٦، وينظر: الخطاب القرآني ٥٨

(٥) دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر ٦٥/٢، وينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، رسالة ماجستير تقدمت بها عواطف كنوش مصطفى الى كلية الآداب، جامعة البصرة ١٤١٢هـ -

١٩٩٢م: ٤٧

(٦) ينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي، د. منقور عبد الجليل ٢١١

والمخاطب، والوضع النفسي والوجداني لهما معا، إذ ((انه يمكن لشخصين ان ينطقا الجملة ذاتها [من] دون ان يقولوا الشيء ذاته بالضرورة))^(١).

٢. التنعيم:

وهو عنصر مهم في إنتاج الدلالة، ينضوي تحت أنواع السياق المقالي، وتتجسد فيه الظروف المحيطة بالمتكلم والمتلقي، والحالة النفسية المرافقة للنطق، إذ إن ((السياق وما يلابسه من الظروف والمتغيرات والمعطيات الخارجية التي تكشف الموقف الكلامي تحدد النمط الذي يقال به التركيب النحوي))^(٢)، وهذا النمط على صلة مباشرة بالجانب الصوتي (المنطوق من اللغة)، إذ ((انه وسيلة صوتية تسعى للاستغناء عن الأدوات واللواحق التي تنقل البنى الصرفية، لتحديد اتجاه الدلالة، بل انه عنصر من عناصر البلاغية، في دراسة النماذج الأدبية الرفيعة في اللغات الحية))^(٣).

ولا تقتصر أهمية التنعيم عند هذا الحد، بل تتعدى ذلك إلى لغة التخاطب اليومي، فالتغاير النغمي في درجة الصوت، يعد جزءا أساسيا في توصيل مقاصد الكلام، بوصفه يمثل جانبا مهما من وسياق المقال وسياق الحال أيضا، الذي يختص بدوره في ((فهم المراد من النص والمقصد منه))^(٤). ومن خلال التنعيم نستطيع ان نغير دلالة الجملة من خبرية إلى استفهامية أو تعجبية، ويعتمد في ذلك أيضا على التغييرات التي تطرأ على حركات المتكلم في نحو التحديق، وتغيرات الوجه التي توحى بدلالة معينة يعبر المتكلم من خلالها عن شعور داخلي^(٥). من هنا تبرز قرينة التنعيم في الكشف عن الدلالات والمقاصد، لأنها ((قرينة صوتية صوتية كاشفة عن اختيار المتكلم لنوع معين من أنواع التفسير النحوي الدلالي))^(٦).

(١) اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز ١٨-٢٢-٤٢-١٤٢، وينظر: مقومات الدلالة النحوية، قراءة

في بعض الخصائص، د. رشيد بلحبيب (الإنترنت)

(٢) التنعيم ودلالات التراكيب، د. نوزاد حسن احمد، مجلة الآداب والعلوم (المرج)، السنة الأولى،

العدد الأول، ١٤٢٦هـ - ١٩٩٦م: ١٩٧

(٣) التنعيم اللغوي في القرآن الكريم، سمير إبراهيم وحيد العزاوي ١٤٣

(٤) ضوابط في فهم النص ١٤٢

(٥) ينظر: التنعيم ودلالات التراكيب: ١٩٧

(٦) النحو والدلالة ١١٨

ثانيا: من دلالة اللفظة إلى دلالة الجملة

إن الكلام عن دلالة اللفظة أو المفردة أو العلامة اللغوية يحيلنا الى تساؤل مفاده: ما فائدة دراسة دلالة اللفظة؟ وما الإضافات التي جادت بها إلى الدراسات الدلالية؟. وللإجابة عن هذا السؤال نقول ان الدراسات الأولى - كما هو معروف - في علم الدلالة كانت تولي الألفاظ المفردة اهتماما كبيرا وخرجت إلى النور عبر هذه الدراسات نظريات عديدة اهتمت بهذا المجال، ومصنفات أخذت على عاتقها معرفة معاني الألفاظ من خلال المشترك اللفظي والتضاد والترادف والتضمن . . . ، ولعل من أهم النظريات التي كان لها إسهام مهم في دراسة دلالة الألفاظ هي نظرية الحقول الدلالية* والنظرية السياقية والنظرية التحليلية. ودراسة دلالة الألفاظ تعد مهمة للوصول إلى دلالة الجملة، ويتضح ذلك من خلال الآتي:

١. الوقوف على الانزياحات الدلالية لللفظة، ويدخل في هذا الباب والمجاز بصورة.
٢. الوقوف على سبب اختيار لفظة معينة في الجملة دون غيرها من الحقل الدلالي الواحد أو ((ما يسمى بالمحور الاستبدالي الذي يشير الى علاقة العنصر المائل في الجملة بالعناصر الغائبة عنها والمرتبطة بها على نحو ما))^(١)، هذا فضلا عن فوائد أخرى لا يتسع المجال لذكرها هنا.

ومع ذلك كله لا ينبغي الاقتصار على دراسة دلالة الألفاظ المفردة والوقوف عندها حسب، لان ((الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لان يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد، وهذا علم شريف واصل عظيم))^(٢)، تصبح الدراسة من خلاله أجدى وانفع، وتخرج عن نطاق دلالة اللفظة الوضعية/ المعجمية الى مجال ارحب، أي الى مجال الاستعمال العملي للغة، و((اللغة بوصفها نظاما علاميا تكشف العلاقة المتكافئة بين الدال والمدلول وفي ضوء ذلك يمكن إدراك البنى المجازية))^(٣)، فمهما كانت دراسة الألفاظ مهمة ((لابد ان تكون موافقة لدراسة الدلالة على مستوى التعبير، بمعنى

* تكشف هذه النظرية عن اوجه الشبه والخلاف بين الكلمات التي تنضوي تحت حقل معين وبين المصطلح العام الذي يجمعها، ويلفت النظر إلى الشبه الواضح بين معجمات الحقول الدلالية الحديثة ومعجمات الموضوعات القديمة (في اللغة العربية) فكلاهما يقسم الأشياء الى موضوعات، ينظر علم الدلالة، احمد مختار عمر: ١٠٨-١١١

(١) إنتاج الدلالة الادبية، د. صلاح فضل: ٣٧

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ٥٣٩. وينظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل: ٨٩

(٣) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ٢٩

آخر إن الذي سيكون أساسيا في الدلالة هو الطريقة التي تترتب وفقها معاني الكلمات لتكون معنى جملة ما^(١).

من هنا كانت دراسة دلالة الجملة اخطر، لأنها تضعنا في المجال العملي للغة - لغة التخاطب والاستعمال - للوقوف على مقاصد المتكلم والكاتب عبر سلسلة الجمل التي ينتجها، وإذا تم الوصول إلى ذلك أمكننا معرفة دلالات الجمل وسبب بنائها على نمط معين دون غيره.

ثالثا: العلاقة بين النحو والدلالة

إن الكلام عن علاقة النحو بالدلالة يولد في ذهن الدارس أسئلة كثيرة عن كيفية التعرف على أسس هذه العلاقة وواجهها، وعن نقطة الانطلاق أ من النحو أم من الدلالة أم منهما معا؟ هذه أسئلة اجتهدت دراسات كثيرة في وضع إجابات عنها.

وإذا أردنا بدورنا الوقوف على ماهية العلاقة لابد لنا من تتبع تكوين الجملة ومقومات صحتها. في الجملة هي المحور الذي يمكن من خلاله كشف هذه العلاقة، ومتكلم أية لغة لابد ان يراعي جانبين مهمين لإنجاح أية عملية تواصل مع المخاطبين، وهما: جانب الألفاظ المعجمية المتواضع عليها في تلك اللغة، وجانب التركيب النحوي والوظائف المكونة له، والتتأم هذين الجانبين تتمخض عنه جُمْلٌ صحيحة نحويا ودلاليا، وبعبارة أخرى لتكوين أية جملة تشترط في علاقات الوظائف فيها شروطاً دلالية معينة حتى يصح وضعها في هذه الوظيفة او تلك، مع الشروط التي تحددها البنية الأساسية من الصيغة والرتبة والعلامة الإعرابية، ويتواشج مع ذلك اختيار الكلمة المنطوقة التي تشغل الوظيفة النحوية، لتصبح صالحة للدخول في علاقة نحوية معينة مع كلمة أخرى تشغل وظيفة أخرى في الجملة الواحدة^(٢).

وعليه فان مستوى الافهام في اية لغة لا يتوقف على التزام السلامة النحوية فقط في الجملة، وإلا فإننا سنقبل جملة مثل (سأتيك أمس) * على الرغم من كونها صحيحة نحويا، ولا يمكننا في الوقت نفسه إسقاط جانب القواعد حتى ان تحققت في الجملة شروط اختيار المفردات كقولنا (المدرسة ذهب زيد إلى). فهذه المفردات منسجمة في الاختيار متنافرة في الترتيب وبذلك انتفت عنها الدلالة ومن ثم المقصدية لانتقاء جانب الترتيب القواعدي السليم.

(١) علم الدلالة، كلود جرمان - ريمون لوبلان: ٢٩

(٢) ينظر: النحو والدلالة: ٤٣-٤٤

* مثال مأخوذ من كتاب سيبويه ٢٦/١. ويخرج المثال عن هذا الحكم اذا قيل في مواقف قصد منها السخرية او المزاح، اما كلامنا هنا وحكمنا على هذا المثال فمناطه ان اللغة هي وسيلة للإفهام وليست التعمية

مما سبق يتكشف لنا إلى مدى يستلزم النحو الدلالة وتستلزم الدلالة النحو، وعبر ذلك كله تتجسد العلاقة بينهما، كون الدلالة - ان صح التعبير - كالروح من الجسد فهي تمتد النحو بالحياة، مثلما يوفر النحو القوالب التي تبرز من خلالها الدلالة وتكتسب وجودها، وكل ذلك يأتي مستلزما معطيات أخرى تبرز المعنى الدلالي، وهي السياق المقالي والحالي الذي ترد فيه الجملة.

وعند الكلام عن علاقة النحو بالدلالة هناك تساؤل يشغل ذهن الدارس وهو: هل يتولد النحو من الدلالة أم تتولد الدلالة من النحو؟ هناك من يقول: "تبدأ الدلالة في الجملة من حيث تنتهي القواعد (القواعد هنا مرادف للنحو)"^(١)، ولكن هل تخرج الجمل مرتبة على هذا النحو عند متكلم اللغة؟ بمعنى هل يفكر هذا المتكلم بإنتاج جملة صحيحة قواعديا ومن ثم يضيف عليها الدلالة؟ ان هذه العملية لا تأتي منفصلة، فهناك معرفة سابقة لدى متكلم اللغة بالقواعد العامة للغة، فضلا عن انه ((يمتلك قبل كل شيء الإشارات التي اعترف المجتمع بوجودها. هذا شرط جوهري في مسار الدلالة))^(٢) ومن امتزاج هذين الجانبين عبر عمليات ذهنية معقدة تخرج الى الحياة جمل صحيحة نحويا ودلاليا.

ولكن أيهما يشمل الآخر الدلالة أم النحو؟ يمكننا في هذا الإطار ترجيح كفة الدلالة، لأنها مرتكز أساسي في إنتاج الجمل، وصحة الجملة دلاليا تعتمد على صحتها النحوية أيضا، على عكس ذلك بإمكاننا ان نطلق على جملة ما صحيحة نحويا حتى إن انتفت عنها الصحة الدلالية، ولتوضيح ذلك نقول مثلا عن قولنا: "سأكل الماء" جملة صحيحة نحويا فهي متكونة من فعل + فاعل + مفعول به، لكنها من ناحية الدلالة غير صحيحة لخروجها عن قواعد الاختيار، أما قولنا " سأكل التفاحة " فهي جملة صحيحة نحويا ودلاليا. من هنا نقول ان الدلالة تشتمل النحو.

(١) علم الدلالة، بالمر: ٩٣

(٢) وعي البعد الألسني لمسألة الدلالة، عبد الوهاب ترو، الفكر العربي المعاصر، أيلول ت ١،

رابعاً: الجملة عند النحاة العرب

تعد دراسة الجمل من أولويات دراسة اللغة عامة ودراسة النحو خاصة، بوصفها ((من أهم المكونات الأساسية للغة فهي وحدة تركيبية قابلة للتحليل . . . وهي من دون شك ابرز الوحدات في التركيب اللغوي وأتمها تكويناً))^(١). من هنا أخذت دراسات كثيرة - قديمة وحديثة على عاتقها دراسة الجملة من حيث علاقات الوظائف، والدلالات . . .

وفي وقتنا الحاضر وجهت اتهامات كثيرة للنحاة العرب القدماء، لكونهم لم يولوا دراسة الجملة أهمية كبيرة في مؤلفاتهم، ولم يفرّدوا لها أبواباً خاصة لدراستها، وإنما اقتصرّوا على تخصيص أبواب للوظائف التي تتشكل منها الجملة، فجعلوا باباً للمبتدأ وآخر للخبر وباباً للفاعل وهكذا، فهل يعني هذا ان تلك المؤلفات خلت من إضاءات وأفكار تتم عن نظرة شاملة للجملة؟ ان الجواب عن ذلك يعود بنا إلى كتاب النحو الأول - كتاب سيبويه - ((بوصفه أول اثر نحوي باق يمثل جهود المرحلة الاولى، بل يمثل نضج الفهم النحوي الراشد الذي يعنى بتمييز التراكيب وكشف خصائصها وتوائمها مع ملاساتها))^(٢).

عند ذاك سنجد فكراً ثاقباً، ودراية بما يجب ان يكون عليه الكلام السليم - من حيث النحو والدلالة - ذو المقاصد البينة البعيدة عن الالتواء والغموض. إذ يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ) (في باب الاستقامة من الكلام والإحالة): " فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب. فأما المستقيم الحسن: فقولك: أتيتك أمس، وسأتيتك غداً. وأما المحال: فان تنقض اول كلامك باخره، فتقول: أتيتك غداً وسأتيتك أمس، وأما المستقيم الكذب: فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه. وأما المستقيم القبيح، فان تضع اللفظ في غير موضعه. نحو قولك: قد زيدا رايت، وكى زيد ياتيك، واشباه ذلك. وأما المحال الكذب: فان تقول: سوف اشرب ماء البحر أمس))^(٣).

وسيبويه عندما يطلق وصف الاستقامة فهو يقصد الاستقامة النحوية، وعندما يطلق وصف محال فهو يقصد استحالة التركيب من الوجهة النحوية الدلالية معاً، وعندما يقول: حسن، وكذب، وقبيح، فانه يقصد بذلك استحالة التركيب من الوجهة الدلالية، والكلام عند سيبويه هنا هو كلام التخاطب الذي يخرج منه الكلام الأدبي حيث المجاز والكناية والاستعارة . . . وهكذا نرى ان هذا العالم الجليل ((وإن تكلم في النحو، فقد نبه في كلامه على مقاصد

(١) مفهوم الجملة في اللسانيات والنحو العربي، د. محمد خير الحلواني، مجلة المناهل، العدد: ٢٦،

السنة ١٠، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ١٩٤

(٢) النحو والدلالة ١٦

(٣) الكتاب، سيبويه ٢٥/١-٢٦. وينظر: النحو والدلالة ٦١-٦٢

العرب، وانحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان ان الفاعل مرفوع وان المفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في ما يليق به حتى انه احتوى على علم المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني^(١).

من هنا وعودا الى موضوع الجملة في الدراسات النحوية نشير إلى ان مصطلح الجملة ظهر عند الفراء (ت ٢٠٧هـ)، واستقر عند المبرد (ت ٢٨٥هـ)، وكان يرد مرادفا لمصطلح الكلام، وقد أشار أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) الى هذا صراحة، وظهر التفريق بين المصطلحين على يد الرضي الاستربادي (ت ٦٨٦هـ)، ثم على يد ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، إذ انتهيا إلى أن الجملة أوسع من الكلام، في حين اشترطا في الكلام أن يكون تاما، ولم يشترطا ذلك في الجملة^(٢). وبذلك كان النحاة يحددون الجملة بوصفها بناءا تركيبيا خاصا، ينهض على علاقات نحوية صرفة، ولكنها ليست منغلقة على نفسها، ولا مكتفية بذاتها بالضرورة، إنها باختصار بنية نحوية ضمن بنية دلالية اكبر فيها هي الكلام، لان الكلام لا يكون كلاما إلا إذا كان ذا فائدة يحسن السكوت عليها.

وإذا حاولنا الوقوف على دراسة الجملة بوصفها تركيبا يجب أن يفرد له باب خاص به - والمقصود بالدراسة النحاة العرب - نجد ان النحاة الأوائل لم يعقدوا أبوابا خاصة بالجملة، وإنما التزموا ((في استعراضهم لوظائف الجملة الطريقة المتوخاة في المفردات، لهذا نظروا الى الجملة من حيث إمكانية قيامها بالوظيفة التي يقوم بها المفرد، فالأصل في نظرهم ان الجملة لا تحل محل المفرد، ولكنها قد تنوب عنه، وعلى هذا الأساس يوجد صنفان من الجمل، وهي الجمل التي لا محل لها من الاعراب، والجمل التي لها محل، فهذه يقدر لها حكم المفرد أي الرفع والنصب والجر والجزم، وتلك لا يمكن ان تجري عليها هذه الأحكام))^(٣) وكما هو معروف فان أول من افرد بابا لدراسة الجملة كان ابن هشام في كتابه مغني اللبيب، وقد قسم فيه الجملة بناءا على كونها لها محل من الاعراب، ولا محل لها من الاعراب، وقسمها أيضا إلى صغرى وكبرى.

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي ١١٦/٤، وينظر: النحو والدلالة: ١٦-١٧

(٢) ينظر: الجمل التي لا محل لها من الإعراب في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه تقدم بها: طلال

يحيى إبراهيم الى كلية الآداب - جامعة الموصل ١٩٩٦: ٧-١٠

(٣) الجملة في نظر النحاة، د. عبد القادر المهيري، حوليات الجامعة التونسية، العدد الثالث،

١٩٦٦م: ٤٢-٤٣

وعلى الرغم من أن دراسة الجملة عند النحاة لم تفرد ضمن أبواب خاصة بها، إلا أن ذلك لا يعني إهمال هذا الجانب عندهم، إذ تومض الملاحظات المتناثرة في كتبهم إلى مراعاتهم المخاطب ((فتصبح فائدة المخاطب أو السامع معياراً لصحة الكلام))^(١)، فضلاً عن موقفه من القضية التي يطرحها المتكلم، والحادثة المشهورة بين الكندي والفيلسوف (ت ٢٥٢هـ) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) تدل على ذلك، حين سألته عن الفرق بين (عبد الله قائم) و(إن عبد الله قائم) و(إن عبد الله لقائم)^(٢). وقد جعل البلاغيون من هذه الحادثة أساساً ومنطلقاً في تقسيم الخبر إلى ابتدائي وطلبي وإنكاري.

من هنا فإن المهام التي كان يحملها النحاة على عاتقهم، لم تصرفهم عن مراعاة الجانب الدلالي الذي يمتد ليخرج عن مجال الملفوظ إلى الظروف المحيطة به وأحوال المخاطبين، ((فقد لحظ النحاة ما يكون من تغير صفات الخطاب وعناصره وفقاً لمنزلة المخاطب والأحوال التي تعتريه))^(٣)، ومن ذلك إشارة المبرد إلى منزلة المتكلم والمخاطب في فعل الأمر كقولك انظر في أمري، انصفتي، لقلت: سألته، ولم تقل امرته، لأنك تأمر من هو دونك، وتطلب إلى من أنت دونه^(٤).

وبذلك تتشكل نظرة متكاملة لعناصر الخطاب حينما تصدى النحاة لدراسة الظواهر النحوية ورسم المعايير التي تحفظ نظامية اللغة، بيد أنها لم تهمل الجانب الدلالي، الذي يطبع اللغة بطابع الحيوية، ولا يقصرها في القواعد القابعة في صفحات الكتب.

ولقد وجدت ملاحظة النحاة هذه صداها عند علماء البلاغة العربية الذين استوت الجملة عندهم على سوقها، فأثمرت نظرات وآراء خرجت بالجملة عندهم إلى فضاءات أرحب، تمثلت في النظر إلى أحوال المسند والمُسند إليه تقديماً وتأخيراً، حذفاً وذكرها، تعريفاً وتثكيراً . . .

(١) الخطاب القرآني - دراسة في العلاقة بين النص والسياق ٤٣

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز ٣١٥، مفتاح العلوم، السكاكي ٨٢، وينظر: التنغيم في القرآن الكريم ١٤٦

(٣) الأعراف أو نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، د. نهاد موسى، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، العدد السادس ١٩٨٦م، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية: ١٤٧. نقلاً عن الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق ٤٣

(٤) ينظر: المقتضب ١٣٢/٢، وينظر: الخطاب القرآني ٤٣